مجلة المختار للعلوم الإنسانية 33 (1): 216-229، 2019

Research Article Open Access

الأدب المقارن والأدب العالمي: ما هي العلاقة بينهما؟

سعاد عامر

قسم اللغة الفرنسية، كلية الآداب، جامعة عمر المختار – درنة

Doi: https://doi.org/10.54172/r248yd87

المستخلص : يستكشف هذا الملخص مسيرة العلمية للبروفيسور فرانسيس كلودون، وهو أكاديمي بارز متخصص في مجال الأدب المقارن. بفضل خبرته في تطور الأفكار التاريخية، والأوبرا، والعلاقات الثقافية العالمية، وأدب المسافرين، وتداخل الأدب مع الفنون والموسيقى، يغطي بحث البروفيسور كلودون مجالات متنوعة. يهدف هذا المشروع الترجمة إلى نقل رؤيه العميقة للقراء الناطقين بالعربية، مع التركيز على الأدب العالمي والأدب الشامل والأدب الفرانكفوني. يتضمن المقال ملاحظات باللغة الإنجليزية لتوفير سياق إضافي، بينما تكون الملاحظات باللغة الألمانية محدودة.

الكلمات المفتاحية: الأدب المقارن، الأدب العالمي، الأدب الفرانكوفوني

Comparative Literature and World Literature: What is the relationship between them?

Souad Ameur

Department of French Language, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University - Derna

Abstract: This paper delves into the scholarly pursuits of Professor Francis Claudon, an eminent academic specializing in comparative literature. With expertise in the historical evolution of ideas, opera, global cultural relations, travel literature, and the interplay of literature with arts and music, Professor Claudon's research covers diverse areas. This translation project aims to convey his profound insights to Arabic-speaking readers, focusing on world literature, comprehensive literature, and Francophone literature. The article includes English notes, providing further context, while German annotations remain limited.

Keywords: Comparative literature, World literature, Francophone literature

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

Littérature comparée et littérature mondiale: quels rapports ..?

"Recherche de traduction présentée par"

Dr. Souad Ameur(*)

ملخص

لقد اخترت أن أترجم للدكتور البروفسور فرانسيس كلودون وهو أستاذ متخصص في الأدب المقارن، أبحاثه تناولت تاريخ الأفكار في القرنين الثامن والتاسع كما تناولت تاريخ الأوبرا، وتاريخ العلاقات الثقافية العالمية لأوروبا الوسطى، وتاريخ أدب المسافرين، وعلاقة الأدب بالفنون والموسيقى. فرانسيس كلودون اهتم أيضا بستاندال، هوفمان ستال، أليسيوس، بيرترانوفيفان دونون. وله أعمال متعددة.

هذا البحث عبارة عن ترجمة، فهو محاولة لنقل مفهوم هذا البروفيسور للقارئ العربي. هذه المقالة تناولت موضوع الأدب العالمي، الأدب الشامل والأدب الفرانكفوني. يحتوي النص الفرنسي على ملاحظات باللغة الإنجليزية والألمانية وقد قمت بترجمة تلك المكتوبة باللغة الإنجليزية وتعذرت تلك المكتوبة باللغة الألمانية.

العلاقة بين الأدب المقارن والأدب العالمي

الأدب العالمي، طموحاته، أنماطه، حدوده، موضوعات باتت تطرح بكثرة من خلال مؤتمراتAILC'الجمعية العالمية للأدب المقارن، فأصبحت هذه الموضوعات كأنها من الطقوس المتكررة، وكأنَّ الأدب المقارن يريد أن يحتضن الثقافات، والألسن، واللغات، بل الكونَ كله. هذا الفرع من الأدب، ظهر رسمياً في باريس من خلال المؤتمر الحادي عشر سنة 1985[1]، لكن – في واقع الأمر – الدراسات كلُّها قبل هذا التاريخ لم تأت بجديد؛ لذا فإن دراسة الأدب العام والمقاربة الفرنسية أو الأوربية للحدث الأدبي – فيما نرى ومنذ زمن بعيد [2]– أصبحت من الأعمال المبتذلة، وعليه فإن الأدب المقارن وجب عليه تقديم بعض التنازلات أمام التطور والعولمة؛ لأنه ارتكب خطيئةً سببها الإفراطٌ في البحث عن الوسطية الأوربية. الأدب العالمي والأدب الشامل أيضاً مصممان على أنهما المرحلة النهائية لفن المقارنة، التي هي في الأصل الفكرة المطابقة لذوق

(*) Maître de conférences en littérature française Faculté des Lettres /Derna

العصر، وقد يصبح من العبث كثرة الجدل[3]، كما أننا لن نخوض أيضاً في تفاصيل الأعمال الأدبية الحديثة للزملاء الفرنسيين.[4]لا أعرف إذا كان كوثGoethe قد فكر في علماء الأدب المقارن عندما استشهد بالحديث المشهور لأوركرمان "Ekermann. من هم علماء الأدب المقارن الذين عاصروه؟

هناك بالفعل اثنان من الواجب ذكرهم وهم: كلود فوريال"Fauriel Claudeوأبيل دي ريموسات" "Abel de Remusat؛ لأنهما – فيما أعتقد – كانا من الأوائل الذين طبقوا بعفوية البرنامج الذي حلم به كوث Gothe. هذا ما سنتحدث عنه، وسوف اختتم بادواردكليسان Edouard Glissant؛ الشاعر الكاريبي ووصفته الممنهجة" من أجل الأدب العالمي"؛ ويقصد بذلك شيئاً مختلفاً كثيراً، عما نفكر فيه عندما ننطق بالكلمتين: Worldliderature أو Weltliteratur

تمهيد:

كان الأدب العالمي محور مقال قد نشر في القاموس العالمي للمصطلحات الأدبية، بالإضافة إلى مشروع آخر كانت قد أطلقته سالفاًAILC´I الذي عقد في بوردو، ويمكن الاطلاع عليه عبر الإنترنت. هذا المقال يتكلم بشكل مفصل عن أصل المصطلح الأدبي، ولكنه لم يتطرق إلى الرؤية المستقبلية لتطور الكلمة ومجالاتها. الأدب العالمي لديه أيضاً تاريخه الأدبي الخاص، ويقوم بذلك اثنان من ألمع وأبرز المتخصصين المعروفين في الأدب المقارن داخل AILC´I الجمعية العالمية للأدب المقارن. فلدينا تاريخ الأدب المقارن للغات الأوربية، الذي انطلق أثناء المؤتمر الخامس في بلغراد، عام 1969م، على يد ش. ريماك(H. Remak) ،وجي فوازين (J.Voisine)، وفي الوقت نفسه، في إطار السياسة التنافسية الواضحة، تشكل (تاريخ الأدب العالمي)، بقيادة الراحل فيبر(Y.B.Vipper) في مركز كوركي (Gorki) بالقرب من أكاديمية العلوم في موسكو، وفي الوقت الحالي فإن المشروعين الثقافيين قد قاربا على الانتهاء، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: إلى من ينسب الأدب العالمي؟ إلى بنجامين في نيويورك وأمستردام أم نوكا في موسكو؟ وإذا ما أردنا الاتصال بالجهة المسؤولة عن الأدب العالمي، فهل نتصل بالأكاديمية الملكية السويدية التي توجت الصينيين (جاوكاسنجيان عام2000، أوموبان عام 2012م والنجيري وولسوينكا عام 1986م والمصري نجيب محفوظ 1988م؟ في الواقع يمكننا أن نكتفي بقوائم جوائز نوبل للأدب، وذلك لتحديد معالم حقل الأدب العالمي. إن آسيا، وأفريقيا ودول الشرق الأوسط أصبحن يواكبن ذوق العصر، ومع ذلك نكون مخطئين لو أهملنا أسماء أوائل علماء الأدب المقارن وأعمالهم.

كلود فوريال :Claude Fauriel

يعد كلود فوريال (1722– 44 18) من بين الأوائل الذين مارسوا كتابة الأدب المقارن المفتوح على فن الأدب العالمي. هو عالم فريد من نوعه[5]، ذو أصول تعود الى سانتتيان (جنوب فرنسا)، كان خطيباً مفوهاً، ولغوياً محنكاً، وثورياً، وكان سكرتيراً عاما لفوشيه، وصديقاً لمنزوني، عين عام (1830) في جامعة السوربون أستاذاً في الأدب الأجنبي الذي فرض آنذاك من قبل الوزير بروكلي[(6)]. وعلى الرغم من ذلك فإن فوريال لم يحز على شهادة دكتوراه، بل كان يكتب في الجرائد، ويتردد على الأوساط الثقافية، وبخاصة الأيديولوجيين المجتمعين حول صوفي كوندروسيه (Sophie Condorcet) وكاباني (Cabanis) ما يعرف بمجتمع أوتيه (Auteuil).

كان يهتم بثقافات سكان أوروبا الجنوبية وبخاصة، (النصف الجنوبي لفرنسا وأوروبا وكل دول البحر الأبيض المتوسط وصولاً الى المملكة العربية السعودية، وكان متأثراً كثيراً بالتشابه بين سكان هذه المناطق[7] حيث تعود إليه فكرة وجود قرابة بين مختلف النتاجات الأدبية لهذه الدول، وفكرة وجود عائلة اللغات أو الأجناس الطبيعية. وفي الوقت الذي نضع فيه نظام اللغات الهندية الأوربية على القمة، حيث برزت نظرية التطور ودورة الأحياء، طبق فوريال–بدون الإعلان عن ذلك– فكرة الأدب العالمي الذي ينبع من جذر واحد لا ثاني له. لم تكن لفكرة الأدب العالمي لدى كوت سوى صورة لامعة أو وصفة غريبة بعض الشيء، ولكن فوريال[(8)] هو من أكمل الصورة وحققها، وذلك بإعطائها حدوداً تاريخية وجغرافية.

" يجب علينا تحديد فكرتنا و بالتالي استخلاص فكرة فوريال ايضاّ والوصول الى الوحدة العميقةوالنهائية التي تبناها، فبالنسبة لمتتبعيه عن قرب فكل شيء يصب بوضوح أوعلي الأقل يتجمع في عقله عند نقطة واحدة وهي أصول الحضارة الحديثة"[(9)].

"بنى فوريال شهرته العالمية بعد نشره للكتابين" مجموعة الأغاني الشعبية اليونانية والصربية (1824) وتاريخ الشعر النصف الجنوبي لفرنسا 1846، ونلاحظ أنه في سنة 1824، كان البلقان لا يزال في يد الامبراطور العثماني، وبدأ الصرب في المطالبة بالتحرير حوالي 1800 وتحصل اليونانيون على استقلالهم عام 1824 ولكن السؤال يبقى أين أدبهم كما لغتهم؟ لم يكن لهما وجود، لقد تم نسيانهما والاستهانة بهما ونكرانهما لمدة طويلة. باشر فوريال ما يقوم به الآن علماء الأدب المقارن "العالميين". فقد أضاف موسوعة شعبية للميراث الأدبي وافتتح متحف القيم للثقافات والألسن التي اندثرت. لقد أثبت بأن هذه الأغاني تدعم المقارنة مع الموسوعة التي تم إنشاؤها مع الآداب ذات الهوية الوطنية،ومنذ زمن لا يستهان بهلم تعد هناك آداب مهيمنة أو

مؤلفات مثالية، فقد ظهرت مؤلفات أدبية إبداعية كثيرة تستند إلى تقسيم اللغات إلى فروع، وكل فرع منها يستحق احتراماً واهتماماً متساويين.

" تاريخ شعر الجنوب الفرنسي" يعتبر كتاباً ملتزماً اكثر من باقي المؤلفات. كان تطور الدول والأمم لا يقاوم في عصر فوريال، في الوقت الذي كانت فيه ثقافة الجنوب الفرنسي قد بدأت في الاندثار ومن ثمَّأصبحت لا تتناسب مع حدود المملكات الحديثة المعترف بها، كما صار الدفاع عن شموخ شعرالبروفانسال يوازي التقليل من أصالة ومن قوة وأولوية الآداب الأخرى التابعة للفرنسية، الإيطالية والأسبانية. يوجد في كتاب فوريال شيء كبريتي. الأدب القديم التابع لجنوب فرنسا ليس فقط الأول على باقي آدب أوروبا الحديثة، فقد كانت له الأسبقية علي الآخرين في مجال المقارنة، فهومن أعطى اكثر من روحه ومن أشكاله والتاريخ يتمسك به أكثر. لن نتمكن علي ما أعتقد من الدخول بطريقة محددة في إشكالية هذا العمل WORHSHOP. فوريال لم ينشر الكثير، فالعديد من محاضراته ظلت غير مطبوعة مثلاً. لديه عمل واحد تناول من خلاله الشعر العربي القديم اي قبل الهجرة،وهذا المثاليعتبر نموذجاً أكثر من مثال البلقان أوالولاية القديمة. لم يكن هناك وجود لدولة الأمة العربية المعرفة بجواز سفر واحد وبلغة موحدة ومع ذلك يوجد لديهم وحدة ثقافية ودينية إسلامية. وجدنا أيضاً الشعر العربي الذي ولد في شبه الجزيرة العربية. محاضرة فوريال قدمت لنا نتاجاً أدبياً لابن الكلبي الذي يروي من خلالها كيف أن هجير الوفي لبني أسد حاول الهرب من ثقل إتاوة سيده؟ وكيف تتابعت الأحداث وتلتها بتمرد شامل في شبه الجزيرة العربية كلها؟ أبن الكلبي هوهشام بن محمد بن عمر توفي عام 204 قبل هجرية، مؤرخ وعالم وأخصائي في علم السلالة وخبير بالعصر الجاهلي وتعد مؤلفاته من أشهرالكتب القيمة في الأدب العربي كما يعتبر فوريال دعامة أدب اللغة العربية وهو الأول من تكلم عن الإسلام، الكتاب يحتوي علي كل ما تبقي من الشعر الجاهلي أي قبل الهجرة[10]. لم يقم العلماء الأوائل المتخصصون في علم المقارنة بمقارنة أدب اللغات الأوروبية وأدب باقي دول العالم كما نقوم به حالياّ، بل كانوابسباطة علماء شموليين. سانت بوف "Sainte Beuve" عرف واستنتج ذلك جيداّ:

" فوريال كان مهتماّ بدراسة الأدب والفلسفة واللغات، وبدراسة اللغة العربية، كما كان مأخوذاً بالقراءة لدانتي "Dante "وكان مهتماّ بكل هذه الجوانب، حيث إنه أحس بالفرق الموجود بين المجتمع القديم والحديث. عالم علي غير العادة، لبيب وعلامة وفيلسوف كما لم يوجد من قبل شبيه له في فرنسا، ما وجدنا عنه أيضاً أن له أعمالاّ قيمة، وصامتة، ومادة للدراسة لا يستهان بها. له أيضاّ العديد من الكتابات ومعجم معجز يشمل كل اللغات (لغة البسك Basque، واللهجات السلتية) كل كتاباته كانت تفضي بوضوح الى أصول الحضارات الحديثة أوعلي الأقل

كانت هذه الأفكار متقاربة في ذهنه، كان يعطي أهمية كبيرة لحركة النهضة الأولى. نخص بالذكر مثلا، الحب المعاصر و الفروسية، كان يبحث بكل فضول عن أصول هذه النتاجات الأدبية العزيزة كثيراً إلي روحه الرقيقة. كان يبحث عن الأصل عند العرب وعند شعوب جنوب فرنسا "Aquitaine" وعند Vascons كما عند الشعوب الغالية الرومانية "Gallo-Romains". لم يعط قيمة لهذه الشعوب إلا لأنه اكتشف حقيقة أنهم أولى زهرات الشجرة العصرية الحديثة، كان مؤمناً أنه من هنا وجب تأريخ تاريخ الأدب والمجتمعات الحديثة، هكذا هو فوريال الحقيقي: القصة التي لديها السيطرة الكاملة."[11]

ابيل دي ريموسات ولا لوكياولين " Abel de Remusat et le Lu-Kiao-Lin

قام أبيل دي ريموسات في احدى المدارس الثانوية الصينية بفرنسا، اهتم باللغة والأدب والدين، كما اهتم بعادات وتقاليد المشرق الأقصى عامة. فقد نشر سنة 1826 ترجمة للا لوكياولين تتناول قصة بنتين بنات عمومة وقد ترجمت أيضا (بأختين) [(12)]، هي عبارة عن أغنية عاطفية من عشرين جزءاً أنتجت في بداية عصر الملوك (1644-1911) وانتهت بزواج الشاب العبقري بالقريبتين الجميلتين والصديقتين الحميمتين، ولقد أثنتجريدة آزياتيكAsiatique على هذا النشر آنذاك.

"هذا العمل يقدم أكثر من أي منشور آخر تقاليد وعادات وطرق التفكير والطباع الوطنية والاجتماعية للشعب الصيني، سواء في داخله أوداخل التصرفات الطبيعية للحياة.فقد قدم مجموعة من اللوحات لعائلات وصور للعادات التي نبحث عنها عبثاّ في روايات المسافرين"[(13)].

كان كوت يستشيط غضباًأمام ريموسات بسبب الرواية الصينية التي تمت ترجمتها ونشرها حديثاّ، فأغلب الظن كان بسبب ترجمة عمل le Lu-Kiao-Lin[(14)]، حيث إنه تُرجم بعد الترجمة الأولى بسنة أي سنة 1827، باللغة الإنجليزية[15]والألمانية[(16)]. هذه المنشورات لاقت صدى إيجابياً في الصحافة في ذلك الوقت. ستيندال " Stenthal" يتحدث عن ذلك في عموده في جريدة نيومونتلي مكازينNew Monthly magazine"[(17)] بو"Poe" أيضاً في أمريكا[(18)] ولكن جريدة باريس لوكلوب "Le Globe " هي من أعطتها القوة في التقرير الذي نشر في سبتمبر سنة 1826 بقلم شارل ماكنين وهومستشرق آخر في المدرسة نفسها. نشر الشاب جون جاك اومبيير " Jean Jacques Ampere" الملقب بفلوريال الثاني والذي كان يقرأ بانتظام لوكلوب تحليلاً عميقاً لنتاج كوت بالنسبة لنا، المهم لا يتجسد هنا بل في المقدمة التي تتكون من 82 ورقة، والتي كتبها ريموسات. أين يوجد التوازي بين روايات الصين وروايات أوروبا فقد كتب قائلاّ: أعتقد أنني قمت بشيء مفيد وغطيت بعض المغالطات في أدبنا، وذلك بتخصيص القليل من وقت الفراغ لترجمة

بعض الروايات الصينية، وأن الدوافع التي وجهت اختياري والمعالجات التي اتخذتها لكي أصل بترجمتي إلى الهدف المزدوج المنشود، كان يتطلب مني بعض الإضاحات التي سوف أختم بها هذه المقدمة.عند قراءتي لرواياته وجدت حكاية بسيطة ومتقنة جداّ ممتعة التطورات والطباع مقدمة بطريقة واضحة منذ البداية، ثابثة حتي النهاية ويمكننا أن نجد القليل من الأبيات والارتجال والشعر الوصفي في هذه القصة، ولكن هذا العيب طبيعي، حيث إنه مرتبط بالمغامرات التي تُنسب للأدباء، وبما أنهم يعتبرون النخبة فإن تفكيرهم وطباعهم وطريقة كلامهم وتصرفاتهم هي ما نود رؤيته داخل أي عمل أدبي. باقي الروايات تناولت بطريقة مفصلة حياة الدير وعرجت بصورة رئيسة على القلق والإزعاج والفوضى الموجودين داخل مجتمع الحريم. أما رواياتنا نحن فقد كانت ذات صبغة أنيقة وسلمية. التسلية بالصحبة الجيدة هذا ما قدمته هذه الروايات. نتعرف مسبقاًعلى بصمات هذه المؤسسات التي جعلت من الأدب الاهتمام الرئيس لأمة عالمة ومتمدنة، يمكننا إلقاء اللوم على الحضارة الصينية إذا لم تكن المشاهد التي خلقتها ذات صبغة معتمة وقوية، فهي غالبا ما تظهر في الأعمال المستعارة من قصص الحروب أونزاع الديانات. عيب آخر والذي يمكن للقارئ الذي قد تعود على قراءة الروايات الحديثة وصخبها ملاحظته، وهوالبساطة القصوى لهذا النوع من الروايات خصوصا في الشكل، فهوكلاسيكي ليس هناك من تكلف في التعبير عن الأحاسيس التي تعتبر نقطة التعقيد في الأحداث، وليس هناك أي بحث أوتحوير في تركيبات المغامرة بحيث نجد لدينا الإحساس بأنها طبيعية وحقيقية وأنها حدثت بالفعل. فهذا الأدب لا يتحدث عن الثأر الوحشي ولا عن تفان مهيب. هذا أيضاًغير مشترك مع الروايات الحديثة. لن نرى أي لقاءات غير منتظرة للقس بريفوست "Prevost" ولا ظهور للسيدة رادكليف "Radcliffe" ولا وجود لسجون منسية تحت الأرض كنيلورث"Kenilworth ". لن تموت أي من شخصيات الرواية علي غرار ذلك فإن شخصيات الفضلاء يتحصلون على مكافأة والشخصيات الفاسدة لا عقاب لهم، وهذا تصرف يعدٌّ مخالفاً لأخلاقيات العمل الروائي الذي بلا شك يمثّل للكاتب تضحية بالمحتمل.ويعدٌّ انجازاً كبيراًإذا استطعنا أن نجعل القارئ يعجب ويهتم بما كتب، وأن يقرأ للنهاية بهذه الإمكانيات البسيطة للرواية ونهاياتها غيرالمعقدة ومواردها المحدودة. فن الاستشباح أي (فن إظهار الاشباح في قاعة مظلمة بمساعدة خدع بصرية) لديها الحق الوحيد في الحصول على نتائج لامعة، ولكن عندما نفكر بأن هذه القصة قد سبقت بوقت الأشكال التي أنتجها عصرنا وبأن هذه الشخصيات ذات حياة مرسومة، كانت معاصرة لشارل السابع (Charles VII) ولويس الحادي عشر(LouisXI) ينتابنا إحساس بالتقدير لأولائك المعنيين بالأدب القادرين على إدراك وفهم التركيبات غير العادية وكساء ملاحظتهم الأخلاقية بأشكال حية

وماهرة ولهم القدرة علي الإمساك بالتباين الدقيق والقدرة على وصف العادات المهذبة والحالة المتقدمة جداً لهذه الحضارة بنجاح، وذلك بتقديم لوحات عن عصر لم يتنج سوى حكاية شعبية سخيفة مليئة بكل ما هو خارق وتافه. إن نعومة بعض الأعمال وخشونة وغلظة بعضها الآخر يشكل نوعاً من التباين الشائك، الذي لم نره الا في القرن الخامس عشر. أوروبا لم تستطع مجاراة الصين ذات الانتاج الهائل في هذا المجال إلا في القرن التاسع عشر.إن صورة الجني في الرواية الصينية ليست سوى نقطة مهمة يُظهر من خلالها جني آسيا دونيته ونقصه. ولكن للأسف يعدٌّ في الوقت نفسه نقطة مهمة لأنها تشكل عمق الرواية ويظهر ذلك من العنوان ويشكل حلاً للعقدة في الرواية والفكرة التي نكتشفها،وقد تمثل ذلك عند بعض الغربيين وعند كوت في شبابه والذي شكلها من خلال دراما ستيلا "Stella" التي تحوي التقاليد الأوروبية القاسية، ولقد اكتفى كوت ببعض التوضيحات البسيطة وامتنع عن ذكر التطورات التي قد تصبح صادمة، وعبارة: "نحن من نكون " "Wir send dein" تبقى هي العبارة النهائية لهذه التركيبة الفريدة من نوعها.هنا عكس المتعارف عليه فإن هذه الأحاسيس التي ليس لها إلا الشرعية، تزدهر وتنطلق تحت تأثير العادات الوطنية وأفكار الأمة دون أن تخدش أبداً الحياء واللياقة والأدب، إنه لجدير بالّذكر هنا أن بطل الرواية يبسط للقريبتين أحاسيس وأمنيات بالنسبة لنا تعدٌّ حصرية، نظراً لطبيعتها، فقد أصبح مأخوداً بواحدة دون أن يكف عن عشق الأخرى، امرأتان فاضلتان يتقاسمان حب رجل واحد وهذا الأخير يعتقد أنه لا ينقصه من الحب ليعطيه لشيئين جديرين به بالتساوي، قال لواحدة منهما "لدى قلب واحدولكن هذا لا يعني بأنني سوف أكون مخلصاً لك إلى الأبد فعلى عكس ذلك إذا التقيت بأمرأة أخرى محبوبة كما أنت فكيف لي ألا أحبها؟

إن الاتحاد المزدوج الذي يتطلع إليه البطل يعدٌّ أيضا هدفاً تمتد إليه النظرات السرية للقريبتين الاثنتين، حيث إن عدم إتمام ذلك الارتباط يجعل من سعادتهما ناقصة،فالاثنتان تدافعان عن نفسيهما من الشعور بالغيرة يمكننا أن نبرر ذلك بسبب ميولهما المدان وغير الشرعي. فهما تؤمنان بأن ارتباطهما بشيء واحدلا يشوه بأي وجه من الوجوه ذكاءهما الجيد بل يعدٌّ عذرا آخر ليحبانه ويقدرانه. فإذا كانت أوروبا تجد في هذا الموضوع نوعاً من الخلاف واليأس فإن الصين ترى في ذلك تعاطفاًسعيداًوضماناً لمباركة تامة. إن هذه الرواية تنقل لنا حقيقة العالم آخر. يجب الذهاب إلي الصين لكي تكتشف أن المظارة (تعدد الزوجات) مبررة بالأحاسيس وترى أيضاً أن تلك الأهواء الأكثر تطلباً يُرتضى فيها بالقسمة والمصالحة دون أن يُنقص ذلك من قوة المرء وحيويته.إن اتحاد ثلاثة أشخاص مرتبطين بتطابق عذب في الميول والازدواجية والمزاج يشكل بالنسبة للصين السعادة الدنيوية، وهي نوع من السعادة المثالية التي تحتفظ بها السماء للمفضلين كجائزة خصصت

لأصحاب المواهب والفضيلة،وهذا على ما اعتقد ما يمكن أن يصدمنا أكثر: رؤية تصرفات الشخصيات الرئيسة المعروضة كنتيجة طبيعية لهذا النظام غير الأخلاقي بالنسبة لنا في أوروبا، فإن هذا النوع من السلوك يسبب لنا اشمئزازاً ونفوراً عميقين جداً. المظارة (تعدد الزوجات) سلوك يوجد أيضا لدى المسلمين، ويمكنهم أن يتقبلوه ويتساهلوا تجاهه ويكونوا متسامحين معه. والمبررات الأفلاطونية والثقافية لبطل الرواية لن تجد صدى لدى أي شخص.الرجل الذي يحب امرأتين في آن واحد بالنسبة لي يعد وحشاً، لا يمكننا أن نجده سوى في أعماق آسيا، ونوعيته غير معروفة البتة في الغرب. شغفان متزامنان لا يمكن أن يحتملان: فسوف يكونان متتابعين ومن الصعب تقبل ذلك داخل الرواية. رواية تقاليد، رواية تاريخية، رواية معرفة، يمكننا أن ندرك ونفهم ما يثير اهتمام كوت، وندرك بأن ريموسات ليس فقط مترجماً وعالما بالحضارة الصينية. ولكن أيضاً مقارناً مفتوحاً علي ما يعرف حالياً بالأدب العالمي.إنه من الخطأ مقارنة هذا وذاك وأيضاً يعدٌّمن المبالغ فيه وضع استبعادات وخيارات. ففي جميع الأحوال فالاثنان ثابتان علي الأقل في الوقت الذي ولد فيه تخصصنا في فرنسا.

<u>من أجل أدب عالمي</u>

في خريف 2005 في باريس جميع الجوائز الأدبية خصصت لأدباء من خارج فرنسا:" Goncourt"؛"الجائزة الكبرى للرواية الأكاديمية الفرنسية، لورونولوت "Le Renaudot" فيمينا "Femina" جائزة "Goncourt des lycéens":هل هومحض صدفة؟

Alain Mabanckou ألان مابانكوتوقع:

"خلال مدة طويلة من السذاجة كنت أحلم بانخراط الأدب الفرانكوفوني مع الأدب الفرنسي ومع الوقت أدركت بأنني كنت مخطئاً في تحليلي للأمور. إن الأدب الفرنكوفوني كياناً كبيراً ذا مجسات متشابكة في كل قارات العالم، أما الأدب الفرنسي فهوأدب وطني وهومن وجب عليه الدخول في هذا الكيان الفرنكوفوني. في مايو 2007 صدر كتاب ومنهج بمثابة بيان عام أومنشور تحت عنوان من أجل أدب عالمي كان موقعاً من كل من:

"ايفا الماسي، طاهر بن جلون، مايسي كوندي،داي سيجي،انانداد دافي، شاهدورت دجافان، ادوارد كليسان، جاك كودبوت، نانسي هوستون، فابيان مانو، داني لافريا، ميشال لاياز، مشيل لابيز،الان مابانكو،انا موي، وجدي معود، نيمرود،استير اورنر،جريجوار بول،راحاريمانانا،باتريك راينال، جون روو، بوعلام سنسال،برينا سفيت، ليونيال ترويوت، جاري فيكتور،عبد الرحمان الوابري." الفكرة لم تكن على ما أعتقد لكليسان "Glissant" ولكن هومن قدمها بقلم من نار.الثورة الكوبرنيكية: كوبرنيكية لأنها اكتشفت بأن المركز الوطني الفرنسي–الباريسي هوالنقطة التي من

المفترض أن يشع منها الأدب الفرنسي، إلا أنه لم يعد كذلك. لقد كان لهذا المركز القدرة على استقطاب كل الأدباء القادمين من خارج فرنسا، وهذه الحقيقة كانت تغضب هؤلاء، لأنها كان تجردهم من موروثهم الأدبي والثقافي قبل أن تذيبهم في بوثقة اللغة الفرنسية وتاريخها الوطني. مقر المركز أصبح حالياً في أركان العالم الأربعة وهذا ما أكده شلال جوائز خريف 2005. نهاية الفرنكوفونية وولادة أدب عالمي باللغة الفرنسية هكذا هي النظريات التي أعطاها الصوت القوي للشاعر الكرايبي ادوارد Edouard Glissant، فبعد ذلك بوقت قصير تشكلت مجموعة حول كليسان الذي كان يقول بأن الأدب يشكل ثغرة داخل مختلف الأصناف اللغوية. هذه الرغبة الجديدة كانت تريد إيجاد مخارج العالم، هذه العودة للقوى المتأججة للأدب، هذا الإحساس الملح للأدب العالمي يمكننا أن نحدد توقيته؛ لأنه كان مصاحباً لانهيار الأيديولوجيات الكبرى تحت وطأة الضربات العنيفة خاصة للموضوع والمعنى والتاريخ، ليعود الى الساحة العالمية مع غليان التيارات ضد الشمولية في الشرق كما في الغرب، والذي سرعان ما سوف يتسبب في إنهيار جدار برلين.كما لوأن القيود قد سقطت ووجب على كل واحد تعلم المشي من جديد مع الرغبة لتذوق غبار الطرقات وقشعريرة الخارج ونظرات الغرباء التي تلتقي.واعتبرت نصوص هؤلاء المسافرين المذهلين والذين ظهروا في نصف سنة 1970 بوابة فاخرة للدخول الى عالم الخيال. وآخرون همهم ذكر حقيقة العالم الذي يعيشون فيه مثل ريموند شندلار "Raymond chandler" أوداشيال هاميت " Dashiell Hammett" اتجهوا نحو الرواية السوداء. وآخرون أيضا لجأوا الى توليفة الرواية الشعبية أوالرواية البوليسية ورواية المغامرات، طريقة ماهرة وحكيمة لإيجاد النص مع الاحتيال علي" الممنوع في الرواية". قاصون آخرون كانوا يستثمرون الرسوم المتحركة برفقة هوكوبرات" Hugo Pratt" موابيوس "Moebius " وآخرين. فأصبحت الأنظار متجهة من جديد نحو الأدب الفرانكوفوني خاصة الكرايبي منه وكأنه قد تشكلبعيداُ عن الأنماط الفرنسية المتصلبة.غليان رومانسي وشعري وريث سانت جونبرس"Saint-John Perse " وسيزير"Cesaire" الذي فقد كل أسراره.وعلى الرغم من الضوء الوامض لهذا الوسط الأدبي فقد تأثرت سلبياً، من ذلك كونه لم نعد تنتظر منه سوى بعض البهارات الجديدة والكلمات القديمة، المهجنة، والرائعة جداً بحيث لها القدرة أن تُعطي طعم لأكل فقد لذته. 1976-1977: كلها طرق غيرت اتجاهاتها بالعودة الى الخيال. في الوقت ذاته ارتفعت رياح جديدة على بريطانيا، اثبتت وجود أدب جديد بالغة الإنجليزية وكرست نفسها بصورة استثنائية لعالم في طور الولادة، كما ظهر جيل ثالث لروايات وولفينز "Wool fiens" شبابا انزعجوا وتوجهوا لعالم أوسع لاستنشاق بحرية أكبر. بروس شاتوين " Bruce Chatwin" ذهب الى باتاكوني "patagonie"، نصه أخذ هيأة بيان لجيل الكتاب المسافرين:

("أطبق للواقع تقنيات السرد الروائي وذلك لإعادة بناء أبعاد الواقع الروائي").وسط ضجة مثيرة للإعجاب ظهرت روايات عبرت بقوة نادرة وكلمات جديدة عن الإشاعات التي نالت من هؤلاء العاصميين الذين تصادموا وتعانقوا واختلطوا بثقافات كل القارات الأخرى. في قلب هذا الغليان كان كازوايشيكورا "Kazuo Ishiguro" بن اوكري"BenOkri" حنيف قريشي "Hanif Kureishi" ميخائيل اوندانتشي"Mikael Ondaatje" وسلمان رشدي"Salman Rushdi " يكتشفون بكل حدة ظهور ما يسمى ب"الرجال المُترجَمين " المولودين في بريطانيا و الذين لم يعيشوا في غربة البلد الأم الذي فقد للأبد ولكن أصبحوا يعانون بين عالمين وكرسيين محاولين استخلاص مشروع عالم جديد من هذا التصادم. وقد كان فعلاً هناك ولأول مرة جيل من الكتاب منحدر من الهجرة، أنتج مؤلفات ابتداءً من إقرار الهوية المتعددة داخل أقاليم غامضة ومتحركة، عوض أن يغرق في ثقافات الدول المتبنية لهم. هذا ما أكده كارلوس فونتي "Carlos Fuentes": (لقد كانت مؤلفات تعبر عن التحرير أكثر من أنها مؤلفات تعلن عن دخول القرن الواحد والعشرين).

كم هوعدد كتاب اللغة الفرنسية الذين وجدوا أنفسهم بين اثنين أوالعديد من الثقافات وتساءلوا عن هذا الاختفاء الغريب الذي يضعهم علي هوامش الفرانكوفونية المتغيرة والدخيلة وبالكاد تُحتمل في حين أن أطفال الامبراطور البريطاني السابق يستحوذون بكل شرعية على الرسائل الإنجليزية؟ هل يجب الإمساك بسند الملكية لبعض الانحطاط الخَلقي لورثة إمبراطور المستعمرات الفرنسية بالمقارنة مع ورثة الامبراطور البريطاني؟ أو الاعتراف بوجود مشكلة داخل الوسط الأدبي نفسه تعود لفنه الشعري الفريد الذي يدور كالدرويش حول نفسه وحول النظرة الفرانكوفونية التي تستمر من خلالها فرنسا أم الفنون والسلاح والقوانين في توزيع إشعاعها على أنها المحسنة العالمية القلقة من إحضار الحضارة لشعوب تعيش وسط الظلام. كتاب هايتي وافريقيا وجزر الأنتيل Antillais باشروا في إثبات أنفسهم في وقت لم يشعروا فيه بأي نوع من الغيرة تجاه نظرائهم الانجليز. الظاهر أن مصطلح "لغة المزيج" الذي كان يجمعهم والذي اثبتوا من خلاله تفردهم، أعمى وأطرش ولا يبحث سوى عن صدى لأنفسهم لكي نفهم أنه ليس سوى استقلالية اللغة. الأدب العالميُ بنى إذا على علاقة شاعرية، من حيث المبدأ فإنه يتعلق بأدب المقارنة والذي هوبدوره له هدف وأدوات الأدب العالمي نفسهما. من ناحية أخرى يمكن التعرف عليه أيضاً من خلال الممارسات الفرنكوفونية والانجلوفونية والاسبانوفونية. من هنا فإننا نتجنب الانغلاق الآسيوي والعربي الذي يخفي في أعماقه مطالبة وطنية وسياسية تبحث عن ذريعة لمشاكل الكون والمطالبة بمكان تحت الشمس. من خلال الأسطر الرائعة لكليسان " Glissant" فإنه يصف التغيرات الحضارية التي تتشكل علي مجموع الكرة الأرضية كممر من التشابه الى التنوع. الهوية الثقافية لم تُحدد أبداً

انطلاقا من مصدر حصري وحيد (مثلا اللغات الهندو–أوروبية)، ولكن تحدد كمثل جُذمور يسير عبر باقي الجدور المتشابكة بها،وذلك لاثبات ثراء التعددية. بالتأكيد هذا البرنامج يناسب كثيراً الآداب المكتوبة باللغة الفرنسية وقد أشار ماكندووكليسان للرابط الملتوي الذي يربط الأدب العالمي بالأدب الفرنسي. لن يكون اذاً من الغباء عندما نتساءل عمَا يقدمه الأدب الفرنسي لباقي المجالات الثقافية وعما إذا كان الأدب يعيش ويتطور متبعاً تقنية موازية؟ إن درب المقارنة لن يُبنى بعد الآن لا علي اللغات الأوروبية ولا على ثقافات كوننا العتيق. عندما نتساءل ما إذا كان يجب على الأدب المقارن أن ينفتح على الأدب العالمي نكون بذلك قد طرحنا السؤال الخطأ،وفي فرنسا يعدُّ فوريال من أوائل علماء الأدب المقارن منفتحاً على الثقافات العربية، أبيل ريموسات كان من أوائل علماءالحضارة الصينية وكان يعمل بطريقة المقارنة. تشمل المطالبة العالمية في أيامنا هذه على طموحات سياسية لصالح أدب واحد، هذا الأخير مصمم كتعبير عن جنسية محددة على عكس برنامج كليسان فهو يختلف؛ أولا: فوجهة نظره تعدٌّ وجهة نظر مخترع في حين أن الباقي مجرد قراء ونقاد،ثانيا: فقد كانت تتوفر لديه المهارة لإثبات أن الجنسية لا تدخل لا في الثقافة ولا في اللغة. من هنا فهو يبين مجال المقارنة والتي يعتبر ذا أهمية أكبر من مقارنة المجتمعات. بهذا الثمن، نعم، إن الأدب العالمي سريع الذوبان داخل الأدب المقارن.

الخاتمة

إن الأدب المقارن والأدب العالمي ارتقيا إلى مستوى العالمية، وقد عرفت الدراسات الأدبية والنقدية تزاحم سيل من المصطلحات: بين العالمي الشامل، والإنساني ذلك لأنهما نوع من الأدب اجتاز الحدود وتُرجم الى عدة لغات. فهذا النوع من الأدب له خصائص جعلت منه أدباّ شاملاّ؛ وذلك لما يحمله من نتاج فكري وأدبي صالح لكل زمان ومكان، حيث أنه يتناول قضايا إنسانية وثرات بشري جعل منه قرين الأدب المقارن. تكلم البروفيسور عن كوت الذي يعتبر من أوائل علماء الأدب المقارن المنفتح على باقي الثقافات، كما تكلم عن ايدوارد كليسان، كلود فويال، وابيل دي ريموسات، وغيرهم.

إن أهمية المقال تكمن في أن القارئ العربي سوف يطلع من خلال قراءته على نظرة الغرب لنتاج الأدبي العربي الجاهلي كما أن المتخصصين في مجال الأدب العربي سيتمكنون من معرفة ماهية أهمية الأدب المقارن الذي يعتبر من التخصصات المستحدثة هذا بالإضافة الى معرفة أن الثقافة واللغة لا علاقة لهما بالجنسية وهذا ما اعتبره البروفسور فرانسيس كلودون أمرا مهما للغاية.

لقد طرح فرانسوا كلودان أسئلة كثيرة محاولاّ الإجابة عنها من خلال هذا البحث، افتتح مقاله بسؤال يعد مهماّ جداّ وهو؛ " ما العلاقة بين الأدب المقارن والأدب العالمي؟ أراد إيجاد جوابا

لسؤال حيث أنه في الأخير استطاع الإجابة قائلا " إن الأدب العالمي سريع الذوبان داخل الأدب المقارن"،

ومن خلال قراءتي البحث يمكنني القول:

1- إن البروفيسور يخص الأدب المقارن بأنه يحمل رسالة إنسانية.

2- إن البروفيسور أثار الاهتمام بالأدب المقارن خصوصاّ عندما تكلم عن فوريال.

3- اعتبرت مقالته الرسالة ذات جوهر إنساني لأنه قدم الأدب المقارن في مظهر علم يتجاوز الحدود. ويساهم في إغناء النقد الأدبي والدراسات الأدبية. حيث أنه وحسب نظر الكاتب فان الأدب المقارن مكمّل لتاريخ الأدب وأساس جديد للدراسات النقدية. أمّا فيما يخصّ دور الأدب المقارن، فيستطيع من خلاله المقارنون من توجيه حركة التجديد داخل أيّ أدب قومي.

هوامش البحث:

[1] – راجع عيليسبي جيرالد، الأدب المقارن، الأدب العالمي، وقائع المؤتمر الحادي عشر للجمعية العالمية للأدب المقارن، باريس اغسطس 1985. تلاها الاجتماع العالمي الرابع لجمعية الأدب العالمي المقارن، نيويورك / برن 1991.

[2] – راجع، ر، ايتيامبل، هل يجب مراجعة مصطلح "Weltliteratur" ? وقائع المؤتمر الرابع للجمعية العالمية للأدب المقارن فرايبوغ 1964. تلاها الاجتماع العالمي الرابع لجمعية الأدب العالمي المقارن. كتبها فرانسوا جوست؛ لاهاي / باريس 1966، 5-16.

3-مثال: جي- هانكيس " الأدب العالمي؟" في هلكون 1(1938). 156-171

أياورباش، (علم فقه اللغة من الأدب العالمي) E.Auerbach : «Philologie der Weltliteratur», ds. Weltliteratur. Festgabefür Fritz Strichzum 70. Geburtstag. In Verbindungmit Walter Henzenherausgegeben von Walter Muschg und Emil Staiger. Berne 1952, 39-50

V.Klemperer:Littérature universelle et littérature européenne, trad de l'allemand (1°éd.Berlin, 1956), Paris, Circé,2011

«Philologie der Weltliteratur», ds. Weltliteratur. Festgabefür Fritz Strichzum 70. Geburtstag. In Verbindungmit Walter Henzenherausgegeben von Walter Muschg und Emil Staiger. Berne 1952, 39-50.

في-كي ليمبرير: الأدب الشامل والأدب الأوروبي مترجم من الألمانية (العدد الأول،برلين 1956، باريس، سيرشي (2011)

V.Klemperer: Littératureuniverselle et littératureeuropéenne, trad de l'allemand (1°éd.Berlin, 1956), Paris, Circé,2011

[4] – تركيبة رائعة ل تي–ساموبت "مصطلع الادب العالمي " داخل البحث في الأدب العام والمقارن في فرنسا سنة 2007. مطابع جامعات فلنسيا 2007، والتي تُذكر وتُعلق على الأعمال الفرنسية ل بي–كازانوفا– ودي– كويت، سي–اش– برادوكما تعلق أيضا على العمل الجيد لدايفيد دامروش، "ما هو الأدب العالمي؟ " المطابع الجامعية لبرينستون، 2003.

[5] –كان ملما تقريبا بكل اللغات الأوروبية ما عدا السلافية، تعلم السيسكريني علي يد شيسي والعربية مع ساشي وام– ساباج. راجع ابروفاك، المرجع السابق، كلود فوريال، ص.59.

[6] –ايبروفاك، ص 297.

[7] –المرجع السابق، ص. 64.

[8] – Nationalliteratur will jetztnichtvielsagen, die Epoche der Weltliteraturistan der Zeit, und jedermußjetztdazuwirken dieseEpochezubeschleunigen" (Johann Peter Eckermann Gesprächemit Goethe in den letztenJahren seines Lebens hg. v. Regine Otto, München 1988, 198)

فيما يخص هذه النقطة يجب العودة مثلا لفرانسيس كلودون، كوث، مقال سيرة ذاتية، باريس، كيمي، 2011، ص: 98.

[9] –سانت بوف، صور معاصرة، باريس، ديدي1846، الجزء II، ص 535.

[10] – كل أعمال فوريال محفوظة في مكتبة المعهد الفرنسي، ولقد تم كتابته ودراسته من قبل مدام سعاد عامر خلال دراستها للدكتوراه في جامعة باريس ايست 2013.

[11]–سانت بوف، صور معاصرة، باريس، ديديي، 1846، الجزء II، ص. 526–535

[12] –باريس، موطارديي،1826، الجزءالرابع.

[13] –جريدة ازياتيك، لوليو،1826، ص: 63–64.

[14]– في حالة لم يتم تأكيد ان كوت يستشهد حقيقة بهذه الرواية فيمكن ان تكون إذاHaoqiuzhuan التي ترجمها جيمت ويلكنسون (توفي سنة 1736) تحت عنوان "هاوكيوشوان "HaoKiouChoaan أو التاريخ السار The pleasing history ثم اكملت ونشرت هذه الترجمة من قبل توماس برسيه (1729–1811) سنة 1761 في لندن.

[15] –مايو1827 في لندن: هانت وكلارك، كافن كاردن تحت عنوان: لوكياوليلو في جزئين: (الجزء الاول 35، صفحة 259 – الجزء الثاني صفحة 290). تمت اعادة نشرها سنة 1830.

بلا شك فهذا العدد هو ما تحصل عليه ادكار بو. العنوان هو الأقرب لما اقترحه ريموسات من ذلك الذي اعتلي الترجمة الجزئية الأولي للرواية التي صدرت سنة 1821 والتي هي Yu–kiao حسب رايوأنك لينا wang Lin (1988) والتي ينسبها بدوره ل جي تي ستونتن T Staunton.G هذا الأخير ترجم أربع أجزاء من عشرين من الرواية الاصلية، من صفحة 227 الي صفحة 241.السرد من السفارة الصينية الى خان التتار.التتار في سنوات 1712،13،14،15.

[16]- Leipz Ponthieu : ،ChinesischeErzählungenherausgegebendurch Abel Remusat Michelsen u. Comp., 1827

[17] -"لا أريد أن اؤكد على انطباعي عندما قرأ ت هذا الكتاب والذي من خلاله كونت بعض الصور لجوكينالي،هذه الرواية من وجهة نظري رسمت بطريقة وفية جدا العادات والتقاليد الصينية مثل ما قام بها توم جونز للعادات والتقاليد الانجليزية."

[18] - في أكتوبر سنة 1828 أصدرت المجلة الدورية ذا نورت أميريكان The North Amercan review (المجلد 27، العدد 61،ص: 524-562) تقريرا مفوضا بالخصوص يحمل عنوان السلوك الصينية: "Chinese Manners"